بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فعَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " (1)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجريّ (ت: 360 هـ) عَقِب ذكره لحديث العرباض: "فَمَيِّزُوا هَذَا الْكَلَامَ، لَمْ يَقُلْ: صَرَخْنَا مِنْ مَوْعِظَةٍ، وَلَا زَعَقْنَا، وَلَا طَرَقْنَا عَلَى رُءُوسِنَا، وَلَا ضَرَبْنَا عَلَى صُدُورِنَا، وَلَا زَفَنَّا، وَلَا رَقَصْنَا كَمَا فَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ، يَصْرُخُونَ عِنْدَ الْمَوَاعِظِ وَيَزْعَقُونَ، وَيَنْغَاشُونَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ يَلْعَبُ بِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، يُقَالُ لِمَنْ فَعَلَ هَذَا: اعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْدَقُ النَّاسِ مَوْعِظَةً، وَأَنْصَحُ النَّاسِ لِأُمَّتِهِ، وَأَرَقُّ النَّاسِ قَلْبًا، وَأَصْحَابُهُ أَرَقُّ النَّاسِ قُلُوبًا، وَخَيْرُ النَّاسِ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، وَلَا يَشُكُّ فِي هَذَا عَاقِلٌ، مَا صَرَخُوا عِنْدَ مَوْعِظَتِهِ، وَلَا زَعَقُوا، وَلَا رَقَصُوا، وَلَا زَفَنُوا، وَلَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا لَكَانُوا أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا أَنْ يَفْعَلُوهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ بِدْعَةٌ وَبَاطِلٌ وَمُنْكَرٌ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَتَمَسَّكُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِسُنَّتِهِ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ". (2)

---

1 - صحيح، أخرجه أحمد في المسند (17142) والداريّ في سننه (95) والترمذيّ في جامعه (2676) وغيرهم.

2 - الأربعون حديثا (صـ 97-98).

وقال إبراهيم بن موسى الشاطبي المالكي (ت: 790 هـ) مُتكلمًا عمّا كان يجده السلف الصالح من القرون الأولى المفضلة عند سماع القرآن وما كانوا عليه في تأثرهم من المواعظ والذكر:

"وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي التَّوَاجُد مَا كَانَ يَبْدُو عَلَى جملةٍ مِنْ أَصحاب رَسُولِ الله ﷺ وهو البُكاءُ، واقْشِعْرَارُ الجِلْد التَّابعِ لِلْخَوْفِ، الْآخِذ بمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، وَبِذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ:

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الزمر: الآية (23)]،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} [سورة المائدة: الآية (83)]،

وَقَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}، إلى قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [سورة الأنفال: الآيات (2–4)]. [3] انتهى كلامه.

وذكر عدّة آثار في الباب نذكر منها:

قَالَ عبد الله بن المبارك أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ – عبد الله بن الشخير رضي الله عنه – قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ[4] الْمِرْجَلِ». [5]

---

3 - الإعتصام (119/2)
4 - الأَزِيز: صوتٌ يشبه غَلَيان القِدْر.
قَالَ أَبُو عُبَيْد القاسم بن سلام فِي غريب الحديث (221/1): فِي حَدِيثه ﷺ أنه كَانَ يُصَلِّي ولجوفه أزيز كأزيز الْمرجل من الْبكاء. قَوْله: أزيز - يَعْنِي غليان جَوْفه بالبكاء. وَالْأَصْل فِي الأزيز الالتهاب وَالْحَرَكَة.
5 - صحيح، وهو في الزهد لابن المبارك (109)،وعفّان بن مسلم في أحاديثه (61) وأحمد في المسند (16312) والنسائي في سننه (1214) وغيرهم وصححه الألباني.

وقال سَعِيدٌ بن منصور (ت: 227 هـ): نا هُشَيْمٌ، قَالَ: نا حُصين، عَنْ عَبْدِ الله بن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لجدَّتي أسماء: كيف كان يَصْنَعُ أَصْحابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذا قرأوا الْقُرْآنَ؟ (قَالَتْ) : كَانُوا كَمَا نَعَتَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ، وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ، قُلْتُ: فَإِنَّ نَاسًا هَاهُنَا إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ تَأْخُذُهُمْ عَلَيْهِ غَشْية، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ من الشيطان ! [6]

وقال مُحَمَّد بن سعد (ت: 230 هـ): أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا الْفُرَاتُ بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: "سُئِلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ؟، قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُمُ كَانُوا يَبْكُونَ". [7]

وقال عبد الرزّاق الصنعانيّ (ت: 211 هـ) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: "كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ سُورَةَ يُوسُفَ قَالَ: وَأَنَا فِي مُؤَخَّرِ الصَّفّ حَتَّى إِذَا ذَكَرَ يُوسُفَ سَمِعْتُ نَشِيجَهُ [8]، وَأَنَا فِي مُؤَخَّرِ الصُّفُوفِ". [9]

وفي رواية [10] من طريق : إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ قَالَ: " سَمِعْتُ نَشِيجَ عُمَرَ وَإِنِّي لَفِي الصَّفِّ خَلْفَهُ فِي صَلَاةٍ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف: 86] "

---

6 - إسنادهـ صحيح، وهو في التفسير من سنن سعيد بن منصور (95) وأيضا عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (1016) والبيهقي في الشعب (1900).

7 - إسنادهـ صحيح على شرط مسلم، وهو عند أحمد في الزهد (978) من طريق الفرات بن سليمان به، ويشهد له ما قبله.

8 - النشيج : البكاء الشديد.

9 - إسنادهـ صحيح، وهو في المصنف لعبد الرزاق (2703).

10 - كما عند عبد الرزّاق أيضا (2716) بإسناد صحيح.

وهو أيضا في التفسير من سنن سعيد بن منصور (1138) وابن سعد في طبقاته (126/2) وابن أبي شيبة في مصنفه (3565) وغيرهم.

وهو في البخاري معلقًا بصيغة الجزم في: [كتاب الجماعة والإمامة – باب إذا بكى الإمام في الصلاة].

وعن عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَجُلٍ سَاقِطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: " مَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُصِيبُهُ هَذَا، قَالَ: إِنَّا لَنَخْشَى اللَّهَ وَمَا نَسْقُطُ ". (11) قال عقبه الشاطبي: وهذا إنكار. (12)

وبعد إيراده لمثل هذه الآثار قال (13):

"إِلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ الدالَّة عَلَى أَنَّ أَثَرَ الْمَوْعِظَةِ الَّذِي يَكُونُ بِغيْرِ تصنُّع إِنَّمَا هُوَ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ وَمَا أَشْبَهَهَا".

وقال: "فليس في شيءٍ من ذَلِكَ صَعْقٌ وَلَا صِياح، وَلَا شَطح، وَلَا تَغَاشٍ مُسْتَعْمَلٌ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ شأْن فقرائنا اليوم".

وصلى الله على نبيّنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

11 - منقطع، أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر كما قاله الذهبي في ((السير 97/6)) والمزّي في تهذيب الكمال (273/11) وذكره ابن العراقي في تحفة التحصيل في ذكر روّاة المراسيل (صـ 132).
12 - الإعتصام (122/2).
13 - الشاطبي في الإعتصام (121/2).